انكلترا والحرب الاوربية

وفي هذا النبأ الذي ورد ببراي القاها في مجلس النواب في ٣ الجاري

قلت في الاسبوع الماضي اننا نسعى للسلم لا في انكلترا وحدها بل في اوربا باسرها ولكن الحوادث اليوم تمر ويتلو بعضها بعضاً بسرعة عظيمة بحيث يتعذر وصف حقيقة الحال ولكن المتقرر الجلي ان سلم اوربا تداعت اركانهُ فقد اعلنت روسيا والمانيا الحرب كل منهما على الاخرى . وقبل ان اصف لكم موقف الحكومة الانكليزية امهد السبيل لهذا الوصف حتى يتيسر للمجلس عند ابداء حكمهِ ان يدرك تماماً ما عليهِ وعلى الوزارة من العهود والواجبات

واصحيحا في ان اقول بالاختصار اننا ثابرنا بهمة ونشاط وبذلنا قصارى جهدنا في حفظ السلم (هتاف) فليهدأ بال المجلس من هذا القبيل . لما بدت ازمة البلقان الى الوجود سعينا لسلم فعززنا بمعونة الدول العظمى نعم ان بعض الدول لقيت عناء عظيماً في تعديل خطتها فاقتضى اتفاق جانب عظيم من الوقت والتعب والمناقشة لفض ما بينها من اختلاف ولكن السلم توطدت اركانهُ لان السلم كان غرض تلك الدول الاعظم ولانها كانت مستعدة لبذل الوقت والتعب في سبيلهِ مفضلة ذلك على توسيع مساقات الخلف والشقاق

اما في الازمة الحالية فلم يكن في الامكان لسوء الحظ صيانة سلم اوربا لضيق الوقت من جهة وميل بعض الدول الى التوصل الى نتيجة ولو حاق الخطر العظيم بالسلم فكانت النتيجة ان سياسة السلم عند الدول العظمى بالاجمال اسفرت عن الفشل ولست اتولى بسط الكلام في هذا الشأن ولا أحاول تعيين موقع اللوم لاني اريد ان ينظر المجلس في الازمة من وجهة المصلحة البريطانية والشرف البريطاني (هتاف شديد) والعهود البريطانية (هتاف آخر) بالعين المجردة عن الهوى (هتاف) اما سبب نقض السلم فسنشير ببيانٍ وافٍ بأسرع ما يستطاع عما حدث في الاسبوع الماضي حينما كنا نسعى لتأييد السلم ومتى نشر هذا البيان ظهر بأجلى وضوح مبلغ مساعينا من الجد والنشاط والاخلاص (هتاف) وتيسر للجمهور الحكم في العوامل التي عملت على نقض السلم

واتولى الكلام الآن على العهود والواجبات البريطانية فقد مثلت لهذا المجلس واكد لهُ رئيس النظار انهُ اذا وقعت ازمة فالوزارة تقف امام مجلس النواب وتترك لهُ الحكم في الخطة التي يجب على بريطانيا العظمى اتباعها (هتاف) بعد ما يعلم اننا لا نقيد بعهد او ميثاق سري

لقد كان في اوربا طائفتان من الدول المحالفة الثلاثية والاتفاق الثلاثي وهذا الاتفاق ليس محالفة بل هو عبارة عن طائفة من الدول تجمعها جامعة سياسية ويذكر المجلس الازمة التي بدت في سنة ١٩٠٨ بغي الغرض اليوسنه والهرسك الى انها فقد حدث اذ ذاك ان ناظر روسيا قدم لندن فاخبرته صريحاً ان المسألة منحصرة في البلقان فلا اعتقد ان الرأي العام يسوغ لنا ان نعد باكثر من ذلك ولم يطلب مني اكثر مما ذكرت اما انا فلم اعط اكثر ولا وعدت باكثر واقول انا حتى يوم امس لم نعد بشيء سوى المعونة السياسية

اني اريد ان ابسط مسألة الواجب والعهود بسطاً شافياً للمجلس فاعود الى ازمة المغرب الاقصى سنة ١٩٠٦ اي عند اجتماع مؤتمر الجزيرة وقد كانت الوزارة اذ ذاك محفوفة بالصعوبات بسبب الانتخابات العامة فسئلت حينئذٍ هل اعد مساعدة فرنسا بمساعدة عسكرية اذا ادت الازمة الى نشوب حرب بين فرنسا والمانيا فكان جوابي اني لا اعد دولة اجنبية بشيء الا اذا ايدني الرأي العام في هذا المجلس تأييداً تاماً متى اقتضت الحال (هتاف من انصار الوزارة) وقلت ايضاً اذا اجبرت فرنسا على خوض غمار حرب بسبب مسألة المغرب الاقصى التي اتفقت انكلترا وفرنسا عليها فالرأي العام في بريطانيا العظمى يشط لتأييد فرنسا وعضدها (هتاف)

فلم اعد وعداً ما ولا فهت بوعيد بل اكتفيت بالاعراب عن هذا الرأي فاكتفت الوزارة الفرنسوية بذلك ولكنها قالت لي «اذا كنت تظن ان الرأي العام في بريطانيا العظمى يسوغ لك مساعدة فرنسا بالقوة عند حدوث ازمة ولكنك لا تستطيع ان تعد بهذه المساعدة سلفاً الا اذا دارت المفاوضات بين ذوي الخبرة من رجال الجيش والاسطول فقد لا تستطيع مد يد المساعدة الينا حين الاقتضاء لو فعلت ذلك» وهو كلام وجيه واقتنعت عليه واذنت في اجراء تلك المفاوضات ولكني اشترطت ان الحكومة البريطانية لا تقيد نهائياً بما يدور بين ذوي الخبرة

ثم جاءت ازمة الغدير فوقفت فيها موقفي في سنة ١٩٠٦ و١٩١٢ وقر القرار على ان يكون بيننا اتفاق مكتوب بان المفاوضات لا تقيد احدى الحكومتين بقيد نهائي ففي ٢٣ نوفمبر سنة ١٩١٢ كتبت كتاباً الى السفير الفرنسوي واخذت جوابه عليه وسيطلع المجلس على هذا الكتاب ويرى ان كل ما دار بين ذوي الخبرة لم يكن ليقيد احدى الدولتين

على ان حالة الازمة الحاضرة لا تنطبق تماماً على ازمة المغرب الاقصى فبيت القصيد في ازمة المغرب الاقصى نزاع خاص بفرنسا او نزاع اجبرت عليه بسبب اتفاق بيننا وبينها

لتهديدنا بل ان تؤيد فرنسا تأييداً سياسياً فلم نتقيد بشيء سوى التأييد السياسي ولكننا كنا مقيدين باتفاق معين مشهور ومنشور اما الازمة الحالية فنشأت عن حادث لنشأ ذلك فلم تنشأ بسبب المغرب الاقصى او بسبب امر آخر بيننا وبين فرنسا اتفاق خاص عليه ولا بسبب امر يتعلق بفرنسا وحدها

ان الازمة الحالية نشأت عن نزاع بين النمسا وصربيا وليس بين الحكومات والبلدان واحدة تكره الدخول في نزاع بين النمسا وصربيا كالحكومة الفرنسوية والبلاد الفرنسوية (هتاف شديد ولكن فرنسا دخلت في النزاع لانها مرتبطة برباط الشرف والواجب (هتاف) مع روسيا بمحالفة صريحة اما نحن فليس علينا من هذا الواجب ما عليها اذ لا علاقة لنا بالمحالفة الفرنسوية الروسية حتى اننا لم نطلع على نصوص هذه المحالفة

انقضت عدة سنوات على صداقتنا المتينة مع فرنسا (هتاف) ولا ازال اذكر ما شمل الناس عند عقد الاتفاق بيننا من السرور والحبور لان هاتين الامتين محتا ما كان بينهما من الخلاف ووثقتا عرى الصداقة فاذا شئتم ان تعرفوا ما يترتب على هذه الصداقة من الواجبات وعلى مبلغ رسوخها في قلوب الامتين (هتاف) فليفحص كل واحد ضميره وليتنظر في خواطره وامياله فيرى لنفسه مقدار هذا الواجب (هتاف)

اما انا فاقول ان الاسطول الفرنسوي في البحر المتوسط الآن وليس لسواحل فرنسا الشمالية والغربية من يحميها على الاطلاق فبوجود الاسطول الفرنسوي في البحر المتوسط تغيرت الحال عما كانت عليه قبل توثيق عرى الصداقة التي جعلت الفرنسويين آمنين (على سواحلهم الشمالية) ورأيي انهُ اذا اراد اسطول اجنبي محاربة فرنسا حرباً لم تكن فرنسا الساعية اليها ولا المعتدية فيها واجتاز هذا الاسطول بحر المانش وضرب بقنابله السواحل الفرنسوية غير المحمية ودمرها فلا يسعنا والقنابل تطلق امام عيوننا ان نقف ساكتين (هتاف شديد طويل) مكتوفي الايدي كن لا يعنيه الامر واعتقد ان البلاد بأسرها تشاركني في هذا الشعور (هتاف عال)

فقد يخيل الى الواحد في بعض الاحيان بحكم خواطره ان ما يشعر به اذا حدث حادث معين ينتقل الى سواهُ بقوة لا ترد . ولكني احب ان انظر في المسألة غير محمول على جناح الاهواء والامال بل من وجهة المصالح البريطانية وهذه هي القاعدة التي اتخذتها اساساً لما سأقولهُ للمجلس واجيزهُ لنفسي فاذا لم نقل شيئاً الآن فاذا تفعل فرنسا باسطولها في البحر المتوسط

انها تتركه في ذلك البحر من غير ان نقف على ما سنفعل وترى سواحلها الشمالية والغربية متروكة من غير مدافع تحت رحمة اسطول المانيا يجتاز بحر المانش ليفعل ما يشاء في حرب قد يكون فيها الحياة والموت لفرنسا فهب اننا سكتنا واسترجعت فرنسا اسطولها من البحر المتوسط ونحن امام نار اوربية عظيمة فهل من يستطيع وضع حد للعواقب التي تنشأ عن ذلك . افرضوا اليوم اننا تحيد والتزمنا الحياد قائلين لا نستطيع ان نعين احد الفريقين في هذه الحرب وافرضوا ان الاسطول الفرنسوي سحب من البحر المتوسط

ولنفرض ان ذلك ادى الى عواقب غير منظورة تضطرنا فجأة الى المحاربة دفاعاً عن مصالح بريطانيا الجوهرية ولنفرض ان ايطاليا الواقفة على الحياد الآن رأت ان تنكب عن حيادها حرصاً على مصالحها المشروعة حينما نضطر نحن الى الحرب فكيف تكون الحال في البحر المتوسط . فهذه الفروض قد تقع في ساعة حرجة فيها تكون طرق التجارة بالبحر المتوسط ضرورية لحياة هذه البلاد (هتاف) فاذا تكون حالنا ونحن لا ندري اية طرق التجارة ستكون جوهرية لنا في اثناء الاسابيع القليلة القادمة

ليس لنا في البحر المتوسط اسطول يعادل مجموع الاساطيل الاخرى فيه وقد يقع ما اشرت اليه آنفاً في الساعة التي لا نستطيع فيها ان نرسل بوارج اخرى الى البحر المتوسط فتستهدف بلادنا باجمعها الآن لاعظم المخاطر واشد الاهوال (هتاف)

فاذا نظرنا الى المسألة من وجهة المصالح البريطانية الفينا انه يحق لفرنسا ان تعم حالاً (هتاف) هل يمكننا التعويل على معونة انكلترا اذا هاجم مهاجم سواحلها الشمالية والغربية الخالية من وسائل الدفاع . قلت امس للسفير الفرنسوي ما نصه

«واعتقد اذن لي في ان اؤكد لكم انه اذا جاء الاسطول الالماني الى بحر المانش او اجتاز البحر الشمالي لضرب سواحل فرنسا او الاعتداء على بواخرها فالاسطول البريطاني يحميها بكل قوته (هتاف عال) وهذا الوعد مشروط فيه موافقة البرلمان ولا يعد منتجاً للحكومة (البريطانية) الا متى شرع الاسطول الالماني في الحرب»

ان الحوادث تمر سراعاً فلا استطيع ان اسرد عليكم ما يأتي بالطريق الرسمي ولكني علمت ان الحكومة الالمانية تعد بان اسطولها لا يهاجم سواحل فرنسا الشمالية اذا اعطيناها عهداً بحيادنا وقد بلغني ذلك قبل وصولي الى المجلس بقليل ولكنه عهد شديد التقييد سيء نظري (هتاف عال) فهناك اعتبارات اخرى عظيمة الشأن تزداد خطراً كل ساعة كمسألة حياد البلجيك (هتاف) فان العامل فيها هو معاهدة سنة ١٨٣٩ وفي سنة ١٨٧٠ قطع بسمرك

عهداً بحياد البلجيك فكان ذلك اعترافاً ثميناً من المانيا بالحقوق المقدسة الناشئة عن المعاهدات والمعاهدة قديمة ولكن شرفنا ومصلحتنا فيها لا يزالان كما كانا في سنة ١٨٧٠ ولا يسعنا ان نقول في اهميتها بواجباتنا عن وزارة غلادستون سنة ١٨٧٠ . لما بدئ بالتحقيق في الاسبوع الماضي علمت ان هذه المسألة ستكون ام نقطة في سياستنا فارسلت بالتلغراف الى باريس و برلين وقلت انهُ من الضروري لنا ان نعرف هل تتعهد حكومتا فرنسا والمانيا باحترام حياد «البلجيك» فاجابت فرنسا انها مصممة على احترام ذلك الحياد فلا تخرق حرمتهُ الاَّ اذا اضطرت الى ذلك بخرق دولة اخرى لهُ اما المانيا فاجابت ان ناظر خارجيتها لا يستطيع ان يرد جواباً قبل ان يستشير الامبراطور ووزير الامبراطورية وارسل سفيرنا السر وليم جوشن يقول ان الجواب لا يتأخر كثيراً ثم ابلغ ناظر خارجية المانيا سفيرنا انهُ يرتاب في استطاعته ارسال جواب لانهُ اذا ثبت الحرب فجوابهُ قد يفضح خطة القتال ويحدث تأثيراً سيئاً (ضحك) فارسلت تلغرافاً الى بروكسل واتاني الرد عليهِ من ناظر خارجية البلجيك وفيهِ ان حكومتهُ لا تدخر جهداً في المحافظة على حيادها وان الحكومة البلجيكية تعتقد انها تستطيع الدفاع عن حياد بلادها اذا خرق احد حرمة تلك البلاد (هتاف) ولكن وردت الاخبار الآن بان المانيا ارسلت بلاغاً نهائياً الى البلجيك سوداهُ حفظ علاقات الصداقة بين الدولتين اذا سهلت البلجيك اجتياز الجنود الالمانية لبلادها . وكانت المانيا قد سبقت فورتا في الاسبوع الماضي لتعلم هل تكتفي اذا ضمنت لنا سلامة البلجيك بعد انتهاء الحرب فاجبناها اننا نأبى ان نساوم في ما علينا من الواجبات وما لنا من المصالح في حياد البلجيك (هتاف) . وقد تلقى الملك جورج التلغراف التالي من ملك البلجيك وهو «ان البراهين العديدة على صداقة جلالتكم وجلالة سلفكم وخطة انكلترا الحيية لبلادي في سنة ١٨٧٠ و برهان الصداقة الذي اظهرتهُ اخيراً تحملني على ان استجير بكم لحل حكومتكم على التوسط بالطرق السياسية لصيانة استقلال البلجيك وسلامتها» . (هتاف) وبالفعل توسطنا بالطرق السياسية في الاسبوع الماضي ولكن ماذا ينفع التوسط السياسي في هذه الايام . ان لنا مصلحة عظيمة جوهرية في المحافظة على استقلال البلجيك وسلامتها وكل ما تطلبهُ الدول الصغيرة في تلك الجهة (اي البلجيك وهولندا والدنمرك) هو ان نترك وشأنها (هتاف) فاذا حدث في الحرب الاوربية هذه ان حياد احدى تلك الدول الصغيرة خرق فدخلتها جنود احدى الدول المحاربة فان الدولة الصغيرة التي خرقت حرمة حيادها لا تنسى ذلك بعد انتهاء الحرب . وسمعنا قيل عن رد املاكها اليها فان استقلالها يكون قد انتزع منها (هتاف) فاذا صح ان هنالك

بلاغاً نهائياً لبلجيك يطلب به منها ان تغرق حيادها او تعرضه للخطر فاستقلالها ضائع واذا ضاع ضاع معه استقلال هولندا فانا اسأل هذا المجلس ان ينظر في الامر بعين المصلحة البريطانية ويحقق الخطر العظيم (هتاف) . رب قائل يقول انتظر الآن ونتجمع قوانا ثم نتوسط في النهاية بقوة وسلطة ونصلح ما افسدوه . فاذا كنا في ازمة كهذه نهرب (هتاف طويل عال) ونفر من واجبات الشرف والمصلحة ازاء البلجيك فلست اظن ان كل القوة المادية التي قد تكون لنا في النهاية تفيد فائدة تذكر في جنب ما نضيعه من الاحترام

اننا باساطيلنا القوية لا نخسر في الحرب اكثر كثيراً مما نخسر اذا لزمنا جانب السكون وستقاسي اشد العناء في هذه الحرب سواء خضنا غمارها او لم نخض فالتجارة الاجنبية ستقف لا لسد الطرق التجارية بل لعدم وجود متاجر في الجهات الاخرى . فاذا كانت الحقيقة عن البلجيك كما بلغنا فقد وضح الحق بان على هذه البلاد واجباً يقضي عليها ببذل اقصى طاقتها لمنع العواقب التي ستعقب هذه الحقيقة اذا لم تكذبها الآتيا (هتاف) . اننا لم نعد بارسال جيش الى خارج البلاد ولكن الاسطول عيّ (هتاف) والجيش بعدُ (هتاف) ولكننا لم نرتبط بشيء قاطع لاني اعتقد انهُ اذا حدثت حرب اوربية مثل هذه لم يسبق لها نظير فعلينا ان نمعن النظر بعناية واهتمام في امر ارسال جيش الى خارج البلاد حتى نعرف مركزنا تماماً وذلك بالنظر الى ما علينا من التبعة في الهند وسواها من اتحاد الامبراطورية وبسبب العوامل المجهولة . وليس في هذه الظلمة الدامسة سوى باب ضوء واحد يبعث على الارتياح وهو ارلندا (هتاف عال) فالشعور عام في ارلندا وهذا ما احب ان يفهمهُ الناس في البلدان الاجنبية (هتاف عال طويل) ان ارلندا تدفن مشاكلها في الحالة الحاضرة (هتاف)

ان بريطانيا لا تجاهر بالحياد المطلق من كل قيد فقد ارتبطنا مع فرنسا بما يحول دون ذلك وعلينا ان نذكر البلجيك التي تحول دون حياد مطلق من كل شرط ونحن مجبرون ان لا نحجم عن استخدام كل قوتنا (هتاف) . ولا اخفي عليكم انهُ يجب علينا ان نكون مستعدين واقول اننا مستعدون متأهبون (هتاف عال) لعواقب التي تعقب استعمالنا ما عندنا من القوى في اية ساعة . ولسنا نعلم في اية ساعة نضطر الى الدفاع عن انفسنا والقيام بنصيبنا من العمل ولم اجاهر بقرار نهائي الا بعد عرض المسألة علينا في هذا المجلس

ان المستر اسكويث (ناظر الحربية) والمستر تشرشل (ناظر البحرية) يؤكدان استعداد قواتنا وتأهبها التام وكفاءتها ويقولان انها لم تبلغ من الكفاءة في زمن ما بلغتهُ الآن (هتاف) ولم يمر على بريطانيا العظمى زمن كانت الحكومة احق بالثقة منها

الآن غاية متاجرنا ومواصلنا من الشمال والشرق للذين تجرهم الحرب والذين لن تخلو بلاد اوربية منها . فالحياد لا ينقذنا والضرر الذي تلحقهُ بوارج الاعداء بتجارتنا لا يكاد يذكر في جنب الضرر الذي ينشأ عن الاحوال الاقتصادية بسبب الحرب فنحن الآن احرار في حل عقدة يجب بسط عواقبها فقد نشأ عن الحرب بين النمسا وصربيا مشاكل تضعضع الشكل وتوالت الحوادث بسرعة مدهشة بحيث يتعذر وصف ما حدث ولكن حل قصدي كان ان اظهر المكتوم الحق للميون لحلافته بها مستندا وتأثيره فيها وقد عرضت الحقائق الكبرى امام المجلس فاذا اضطررنا بسرعة الى الدخول في الحرب وهو المرجح فاني اعتقد ان البلاد تدرك الامور المرهونة بالحالة الحاضرة ووجوه الخلاف ومبلغ الخطر الذي يتوقعهُ والذي حاولت بسطهُ لكم واعتقد ان الوزارة لا تنال عضد مجلس النواب فقط بل ان البلاد باسرها تؤيدها بالعزم والحزم والشجاعة والصبر (هتاف عال) » انتهى باختصار كثير

جرجي بك زيدان

رزئت العربية وابناؤها بفقد كاتب من نخبة كتابها عالم بحث في خزائن كتبها وما كتبهُ الافرنج عنها بحثاً مستفيضاً واستخلص من ذلك كتباً ممتعة في آدابها تشهد لهُ بسعة الاطلاع واصالة الرأي والبراعة في التبويب والتنسيق فكان لهذه الكتب شأن كبير شرقاً وغرباً وتُرجم بعضها الى كثير من اللغات الشرقية والغربية . وبحث في تواريخ دول الاسلام والف فيها كتاباً جليلاً وبنى على تواريخها سلسلة من الروايات التاريخية الفكاهية جمع فيها زبدة تواريخ تلك الدول على اسلوب لا يملهُ القارئ فكان لهذه الروايات وقع عظيم لدى الامم الشرقية لانها مبنيةٌ على ما الفوهُ من اسماء الاعلام وما لهُ اشد علاقة بتاريخ اسلافهم الذي يفاخرون بهِ فترجمت هذه الروايات ايضاً الى بعض اللغات الشرقية . هذا عدا اشتغالهُ بانشاء مجلة الهلال التي مرَّ عليها الآن اثنتان وعشرون سنة وهي تبحث في المواضيع التاريخية والاجتماعية والعلمية والادبية والصحية وعدا التاريخ الذي الفهُ لهذا القطر وهو باكورة مؤلفاته التاريخية

ولد بمدينة بيروت سنة ١٨٦١ وطلب علم الطب في المدرسة الكلية الاميركية وكان من اساتذتها فتوسمنا فيهِ ميلات النجابة وعزم الهمة . وحدث في المدرسة حادث افضى الى خروج كثيرين من تلامذة الطب منها وهو في بداءة السنة الثانية فخرج مع الذين خرجوا واتم دروس تلك السنة على بعض الاساتذة متنصراً على ما يلزم منها لصناعة الصيدلة كالمحلل الكيماوي والاقرباذين . وجاء بعد ذلك الى القطر المصري ورافق الحملة النيلية الى السودان